سادسا: الدراسات الجغرافية

الأهمية الجيوسياسية لاستهلاك الطاقة من منطقة شرقي البحر المتوسط وأقاليمها

الباحثة: دعاء عبد الهادي السيد محمد

الملخص باللغة العربية:

مع تصاعد وتيرة اكتشافات الطاقة في شرقي البحر المتوسط حلت لعنة النفط والغاز الطبيعي على المنطقة خاصةً في أعقاب العام ٢٠١٠، حيث اشتعلت حالة من الاحتقان في شوارع المنطقة أطلق عليها زيفًا "الربيع العربي"، فكانت أحداث تونس هي الشرارة الأولى ثم انفرط العقد بعد ذلك بالانتفاضة في مصر عام ٢٠١١ وتسللت في العام نفسه إلى المقاومة في سوريا وليبيا واليمن، ليبدأ معها مخطط تفكيك وإعادة هيكلة المنطقة من منظور جيوبوليتيكي يخدم مصالح المتحكم في قوانين اللعبة .

الكلمات المفتاحية: الأهمية الجيوسياسية، استهلاك الطاقة، الطاقة شرقي البحر المتوسط، أقاليم البحر المتوسط، الأسواق الاقتصادية للطاقة

المقدمة :

تعد منطقة شرقي البحر المتوسط من المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية الكبرى في العالم؛ حيث أنها مهد الأديان السماوية، وملتقى الحضارات، وغزت جيوشها مختلف الإمبراطوريات من الشرق والغرب، وتعاظمت أهميتها بين الأقاليم الدولية بعد الاكتشافات الضخمة للغاز الطبيعي على سواحل الدول المطلة عليها، والتي باتت شحيحة من مواردها الطبيعية، في ظل مناخ تتسارع فيه حدة محفزات الصراع يوماً بعد يوم، كما تتشابك فيه مصالح أهم القوى المحلية والعالمية، فهي مناطق نفوذ مستمر منذ عقود طويلة .( )

ويمثل المحور الجيوسياسي للمنطقة أهمية كبيرة في السياسات الدولية لما تحويه من إشكاليات إثنية ودينية وثقافية وسياسية واقتصادية متنوعة، فهي منطقة نزاع تاريخي منذ عهد الفراعنة وحضارات العراق والشام مرورًا بزمن الإسكندر الأكبر والبيزنطيين والعثمانيين، ولا تزال آثارها ممتدة حتى اليوم، تتماس فيها مناطق الشام مع البلقان مع شمال إفريقيا، بما فيها من صراعات جذرية مثل القضية الفلسطينية والمسألة القبرصية، كما تزايدت هذه الأهمية في الآونة الأخيرة نتيجة

الاكتشافات الحديثة والتنقيب المتتالي بحثًا عن الطاقة في منطقة شرقي البحر المتوسط، والتي تقع في بؤرة أزمات سياسية وحدودية عديدة في الأجزاء الممتدة من تركيا حتى البلقان ومن شمال إفريقيا إلى الشام، حيث تتداخل فيها الكثير من المحددات التاريخية والحضارية والدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية .( )

وبات الغاز الطبيعي مادة الطاقة الرئيسة في القرن الحادي والعشرين، وبديل مناسب للنفط، سواء بعد تراجع الاحتياطي العالمي من البترول، أو لأن الغاز يحمل خصائص وسمات عديدة مقارنة بالنفط، منها أنه طاقة أنظف من النفط وأقل ضررًا للبيئة وأعلى معدلاً في الإشعال، ولذلك فالسيطرة على المناطق الغنية بالغاز الطبيعي في المنطقة الشرق أوسطية، تعد بالنسبة إلى القوى الكبرى أساس للصراع الدولي الحالي في تجلياته الإقليمية .( )

أهمية موضوع البحث:

يلاحظ ارتفاع مكانة الغاز الطبيعي في الآونة الأخيرة وتزايد أهميته كمصدر مهم من مصادر الطاقة ليس لمنطقة الدراسة فحسب بل على الصعيد الدولي بشكل عام. حيث أصبحت لمنطقة الدراسة مكانة عالمية مميزة في صناعة الغاز الطبيعي وتسييله والتي أسهم فيها حوض شرق البحر المتوسط بنصيب كبير فطبقًا لآخر دراسة أجرتها هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية عام ٢٠١٠ والتي بينت أن هناك احتياطيات من الغاز الطبيعي لم تكتشف بعد في حوض شرق البحر المتوسط والتي تقدر ب ٢٢٧ تريليون قدم مكعب وهذا بالإضافة إلى الاحتياطي المؤكد حاليًا. كما أعد بيت الخبرة العالمي "**Wood Mackenzie**" دراسة تقييم لأنشطة البحث

والاستكشاف في شمال إفريقيا خلال العقد الأخير أشارت فيها إلى أن منطقة الدراسة تتمتع بنسبة نجاح عالية في كل من أنشطة البحث والاستكشاف (١).

وأوضحت الدراسة أيضا أن منطقة البحر المتوسط تعد ضمن أفضل عشرة أحواض ترسيبية للغاز الطبيعي على مستوى العالم من حيث حجم الاحتياطيات المضافة المؤكدة والاستكشافات المحققة بها من الحقول الجديدة. ومن المتوقع أن يسهم حوض شرق المتوسط بدورٍ محوريٍ في إنتاج الغاز الطبيعي في مصر خلال الفترة المقبلة. ولقد صنفت مؤسسة "**Wood Mackenzie**" المناطق الواعدة على مستوى العالم إلى أربعة مستويات تقع منطقة شرق البحر

المتوسط وبالأخص في المياه العميقة ضمن المستوى الأول من حيث أكثر الجهات جذبًا للشركات العالمية في مجال البحث والاستكشاف مما يعزز من مكانتها إقليميًا ودوليًا في مجال الطاقة (٢).

أسباب اختيار موضوع البحث:

١. تعد الطاقة مصدرًا من مصادر الدخل القومي للدول المنتجة والمصدرة له، حيث تسهم بدورٍ حيويٍ في دفع عجلة التنمية الاقتصادية لدى دول المنطقة.
٢. وجود الكثير من كبرى الشركات العالمية والشركات متعددة الجنسيات والشركات العابرة للقومية للعمل في تلك المنطقة، مما يعكس ارتفاع درجة التنافسية فيما بينهم.
٣. ضخامة الاستثمارات الأجنبية التي ضُخت للكشف والتنقيب عن الطاقة بهذه المنطقة مستقبلاً نظرًا لأهميتها الجيواقتصادية.
٤. تعد منطقة شرقي البحر المتوسط من أهم المناطق الغنية والواعدة في مجال النفط والغاز الطبيعي، وما ترتب عليه من تصاعد حدة الصراع الدولي للسيطرة عليها.
٥. تزايد وتيرة اكتشافات النفط والغاز الطبيعي في منطقة شرقي البحر المتوسط وتعاظم الطلب العالمي عليه خاصة مع حدوث طفرات نوعية كبيرة في صناعات الطاقة.

هدف البحث:

إبراز أثر دور العوامل الجيوسياسية في مدى تأثيرها على حجم إنتاج ونقل واستهلاك الطاقة في منطقة الدراسة والمناطق المستفيدة منها.

تساؤلات البحث:

١. هل تطرأ تغيرات على الإنتاج والاستهلاك في المنطقة أم لا؟ وما هو دور المقومات الجغرافية في ذلك؟
٢. ما متغيرات الأنماط الجغرافية في اقتصاديات الغاز الطبيعي وسوق استهلاكه؟
٣. إلى أي مدى ينصب اهتمام القوى الكبرى على قضايا وأبعاد منطقة شرقي البحر المتوسط في ظل نظام دولي يتحول من الأحادية القطبية إلى التعددية التوافقية، بما فيه من مصالح، وتأثير ذلك على السلم والأمن ليس في الشرق الأوسط فحسب ولكن في العالم بأكمله؟
٤. هل صراع الغاز القائم هذا يكون بهدف الإنتاج أم النقل أم أنه مجرد ساتر ظاهري يخفي وراءه طموح سياسي غير معلن لبعض القوى الإقليمية والدولية؟

٥. ما دلالة التزامن بين تاريخ اكتشافات الطاقة في المنطقة وتوقيت بدء اندلاع ثورات الربيع العربي؟

دراسات سابقة:

١. دراسة "خالد عبد المنعم عبد السلام" (٢٠١٨) بعنوان: إنتاج الغاز الطبيعي واستهلاكه في شمال شرق مصر – دراسة في جغرافية الطاقة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

٢. دراسة "نجاة مدوخ" (٢٠١٤/٢٠١٥) بعنوان: السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة (دراسة حالة سوريا ٢٠١٠/٢٠١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية وإستراتيجية، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر.

مناهج البحث:

يعتمد البحث بشكل أساسي على المنهج الجغرافي العام القائم على التوزيع أين؟ والتحليل لماذا؟ وكيف؟ ومنها:

١. المنهج الإقليمي

يقوم بتحليل الوحدة السياسية من حيث العناصر التي تتكون منها أو التي تكونها مثل الظاهرات الطبيعية والاقتصادية والبشرية، وشكل وحجم ومناخ المنطقة وسكانها وتحليل التاريخ السياسي لها وحدودها وعلاقاتها السياسية بالعالم الخارجي.

٢. المنهج التحليلي

وهو التعريف بالقوة السياسية ومدى التأثير والتأثر النسبي الذي تمارسه الدول في علاقاتها المتبادلة، والقوة هنا لا يمكن أن تكون مرادفاً للعنف بأشكاله المادية والعسكرية، وإنما هي أوسع من ذلك بكثير فهي المحصلة النهائية لعدد كبير من المتغيرات والعناصر المادية منها وغير المادية، وأن التفاعل الذي يحدث بين هذه العناصر هو الذي يحدد في نهاية المطاف حجم القوة التي تملكها الدولة، وعلى أساس هذا الحجم تتحدد إمكانيات ومقومات الدور الذي تقوم به مع غيرها من الدول.

٣. المنهج التاريخي

يركز على عنصر الزمن كبعد أساسي في الدراسة، ويدور حول الماضي من أجل تفسيره بصورة أوضح بدلاً من مجرد سرد الأحداث التاريخية حتى يتسنى فهم المشكلات والأوضاع السياسية الحاضرة ومراحل نمو النطاق الإقليمي للدول عبر فترات التاريخ المختلفة.

٤. المنهج الوظيفي

يقوم على دراسة الدولة من خلال الوظائف التي تؤديها في الداخل والخارج، ولقد طُوع هذا المنهج في دراسة موارد الطاقة الداخلية لدول المنطقة والدور الذي تلعبه على مستوى العلاقات الخارجية.

❖ **لمحة جغرافية عن تاريخ الغاز الطبيعي في منطقة الدراسة:**

زادت الأبعاد الجغرافية لدول منطقة الدراسة من أهميتها إقليميًا ودوليًا، خاصةً في محور الطاقة بعد الكشف عن وجود مكامن وثروات واعدة من الغاز الطبيعي في مياهها العميقة، وتنبع تلك الأهمية من موقعها المتوسطي بين كل من تركيا وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين وإسرائيل ومصر وليبيا وقبرص واليونان، فضلاً عن حاجة هذه الدول لمصادر الطاقة، إلى جانب قربها من أوروبا وآسيا حيث الأسواق العالمية التي تستقبل مثل هذه الموارد بنهمٍ شديد (٣).

كانت بداية الاكتشافات البحرية عن الغاز الطبيعي عام ١٩٩٩ في فلسطين قبالة سواحل قطاع غزة، حيث حقل غزة مارين والذي تم اكتشافه عن طريق شركة بريتش جاز البريطانية، مما برهن على أدلة وجود ثروات نفطية مؤكدة لم تكتشف بعد في منطقة شرق البحر المتوسط، ولحق ذلك عدد من الاكتشافات الفلسطينية أيضًا خلال هذه المدة من ١٩٩٩ – ٢٠٠٣ إلا أنها كانت بنسب غير تجارية لم يتعدى احتياطيها ١,٥ تريليون قدم مكعب. إلا أن المشهد قد تبدل كثيرًا بتحقيق اكتشافات غنية وملحوظة في إسرائيل مع ظهور حقلي تمار وليفياثان عام ٢٠٠٩ و٢٠١٠ على التوالي، ثم حقل أفروديت القبرصي عام ٢٠١١ (٤).

أما مصر، فهي أيضًا من أقدم البلدان التي حظيت بنصيب كبير من اكتشافات حقول الغاز الطبيعي بمنطقة البحر المتوسط والدلتا، حيث جنت ثمار هذه الاكتشافات من خلال تنفيذ مشروع خط أنابيب الغاز الطبيعي عن طريق سيناء، والذي وضع مصر على خريطة أوائل الدول المصدرة للغاز الطبيعي على مستوى العالم (٥). ويمتد هذا الخط من مدينة العريش والتي تشكل نقطة بداية المرحلة الأولى لخط الغاز العربي، وذلك لنقل الغاز من نقطة عبوره غرب قناة السويس بطول يبلغ ٤٠ كم وقطر ٢٤ بوصة، ثم أسفل سطح مياه القناة بطول ٢ كم، ويتم عبر خطين

قطر أولهما ٣٦ بوصة والأخر ٢٤ بوصة وعلى عمق يقدر بنحو ٣٩ مترًا، ليمتد الخطان إلى شرق القناة، ثم يصل خط الغاز العربي إلى محطة التصدير بطول ١٩٥ كم شرق العريش بالقرب من مدينة الشيخ زويد (٦).

كما تقع تلك الحقول مجتمعة على مقربة من بعضها البعض داخل حوض ليفانت الرسوبي والممتد على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، مما أسفر بالفعل عن نتائج إيجابية محفزة دفعت بالدول للبحث والتنقيب عن الغاز الطبيعي في مياهها الإقليمية، وإعداد دراسات جيولوجية وجيوفيزيائية بالتعاون مع كبرى الشركات الاستثمارية محليًا وعالميًا. وجاءت مصر في مقدمة هذه الدول والتي أعلنت في عام ٢٠١٥ عن أضخم اكتشاف في منطقة البحر المتوسط وأحد أكبر الاكتشافات العالمية، وهو حقل ظهر بمخزون محتمل يبلغ ٣٠ تريليون قدم مكعب عبر شركة إيني الإيطالية، كل هذه السيناريوهات تنبء بإمكانية تحويل دول منطقة شرقي المتوسط إلى مركز إقليمي وقد يكون عالمي للطاقة (٧).

تمهيد:

يعد السوق الأوروبي أكبر مستهلك للطاقة على مستوى العالم حيث يجذب منتجو الطاقة لتوريد النفط والغاز، خاصةً بعدما أعلنت المفوضية الأوروبية أنه من المتوقع أن يزداد استهلاك دول الإتحاد الأوروبي من الغاز الطبيعي من ٦٠٠ مليار متر مكعب سنويًا إلى ٨١٥ مليار متر مكعب بحلول عام ٢٠٣٠، مما خلق حالة من تضارب المصالح في المنطقة، والتي أثرت بدورها على الأقاليم المحيطة كالخليج العربي ووسط آسيا وشمال أفريقيا، وهذا ما يفسر عدم الاستقرار والدمار الذي تشهده هذه المنطقة بعد أن كانت تنعم برغد من العيش وكلمة السر هي خطوط النقل.

❖ **أهم مشروعات الطاقة بالمنطقة:**

جاءت مشاريع أنابيب الغاز الطبيعي بالدمار السياسي والاقتصادي على المنطقة قبيل تنفيذها على أرض الواقع، حيث انقسمت المنطقة إلى تحالفين، الأول: روسي – صيني – إيراني – عراقي – سوري – لبناني والثاني: أمريكي – تركي – سعودي – قطري – أوروبي، وأسفر هذا عن أن سوريا وأوكرانيا هما وجهين لحرب واحدة ألا وهي تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية لتفكيك الحلف الأوراسي بزعامة الصين وروسيا فضلاً عن خدمة مصالح حلفائها في حلف الناتو.

١- خط الغاز الأمريكي

بدأ خط الغاز الأمريكي " نابوكو" طريقه متفاديًا الأراضي الروسية (شكل ١)، بطول ٣٨٩٣ كم من آسيا الوسطى حيث كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان إذ تعد الأخيرة رابع

دولة عالميًا في إنتاج الغاز الطبيعي، ويمتد في بحر قزوين حتى أذربيجان ثم جورجيا ثم تركيا بطول ٢٧٣٠ كم ومنها يكمل مساره إلى بلغاريا بطول ٤٢٤ كم ورومانيا بطول ٤٧٥ كم وهنغاريا بطول ٣٨٤ كم وينتهي في النمسا بطول ٤٧ كم التي تتوافر بها البنية التحتية اللازمة من محطات تخزين وتوزيع كمحطة باوم غارتن (٨).

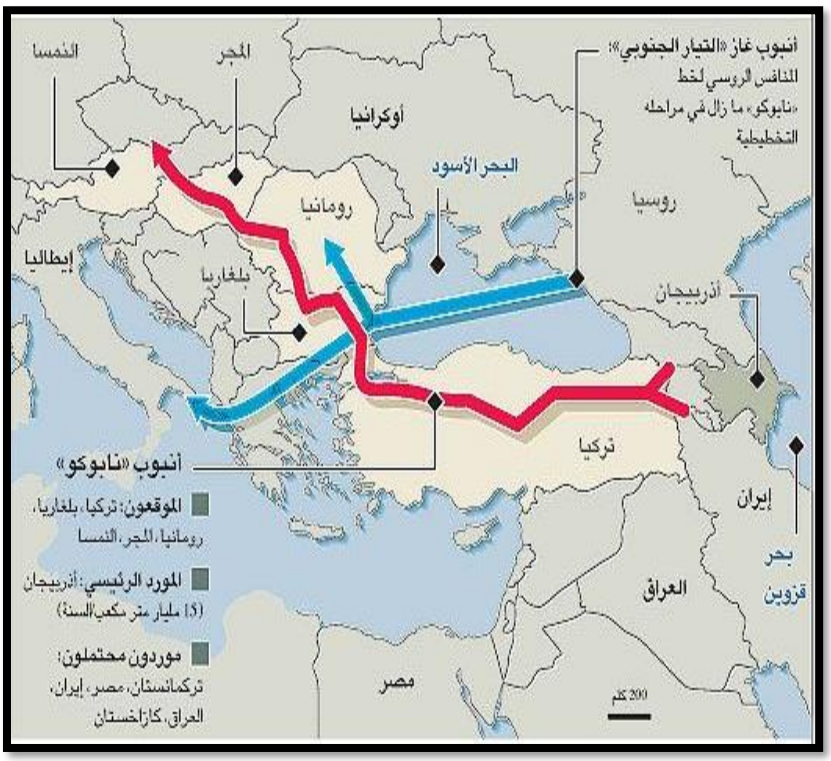

المصدر: بتصرف الطالبة اعتمادًا على الموقع التالي:

https://archive.aawsat.com/details.asp?section=٦&article=٥٢٧٤١٨&issueno=١١١٨٦/١٤-٧-٢٠٠٩

شكل (١) مشروع خط نابوكو للغاز الطبيعي

تمت استعدادات إطلاق هذا المشروع في فيينا عام ٢٠٠٢ بتكلفة ١٠,٩ مليار دولار بطاقة إجمالية مبدئية تبلغ ٣١ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويًا، ولاقى مباركة العديد من الشركات الوطنية الأوروبية على أن يتم إنشاؤه في عام ٢٠١٣ وتضخ أول شحناته في عام ٢٠١٧ من خلال حقل شاه دينيز في أذربيجان، وأبرم هذا الاتفاق في أنقرة عام ٢٠٠٩ حيث وقعت عليه كل من تركيا وأذربيجان ودول أعضاء في الإتحاد الأوروبي مثل بلغاريا ورومانيا والمجر والنمسا وشاركت ألمانيا مراسم التوقيع مع مفوض الرئيس الأمريكي باراك أوباما لشؤون الطاقة في أوراسيا

"ريتشارد مورنينك ستار"، حيث أكد على دعم حلف الناتو الكامل لهذا المشروع سياسيًا واستراتيجيًا، كما أعربت كل من العراق ومصر عن جاهزيتهم للانضمام من خلال خطوط فرعية قائمة بالفعل تصب في الخط الرئيسي كخط العراق في الجنوب الشرقي وخط الغاز العربي في الجنوب بجانب خط جنوب القوقاز في الشمال مما يدعم إنتاجية ضخ الغاز في أنبوب نابوكو.

وتوجهت الأنظار الأمريكية نحو تركيا العضو في حلف الناتو إلى جانب موقعها المحوري والذي يمتد من وسط آسيا مرورًا بالخليج العربي وشرق المتوسط، مما جعلها نقطة مركزية لالتقاء خطوط أنابيب نقل الغاز إلى أوروبا، وهذا ما رحبت به تركيا لما ستجنيه من مقدرات عسكرية واقتصادية على حد سواء، حيث أنه في حالة نجاح هذا المشروع ستحصل رسوم عبور تصل إلى ٦٣٠ مليون دولار سنويًا إذ إن نحو ثلثي خط نابوكو سيمر داخل أراضي تركيا فيدعم موقفها لدى عضوية الإتحاد الأوروبي، كما أنها ستحصل على ما تريد من الغاز الطبيعي بأسعار زهيدة وسيكون لها ثقل في سوق الطاقة العالمي، فمن المفترض أنه سيبدأ بنقل ٣١ مليار متر مكعب ثم يزداد ليصل إلى ٤٠ مليار متر مكعب، ومن جهتها أخذت تركيا تجول دول المنطقة كافة لتوطيد العلاقات وسعت لضمان حصة لها في المشروع كما فعلت مع أذربيجان عام ٢٠١٧ بشراء ٦ مليار متر مكعب، وحاولت بشتى الطرق تطويق كل من سوريا ولبنان لمد أنبوب فرعي من داخل أراضيهم وتوصيله إلى تركيا ثم ينتقل لأوروبا وذلك لمحاصرة الغاز الإيراني.

وكان الأساس القائم عليه المشروع هو غاز العراق وأذربيجان وتركمانستان ومصر، حيث تساهم كل من العراق ب١٠ مليون متر مكعب سنويًا تمر عبر خط الغاز العربي، وتركمانستان ١٠ مليون متر مكعب سنويًا تمر عبر الأراضي الإيرانية أو في بحر قزوين، ومصر ٥ مليون متر مكعب سنويًا تمر عبر خط الغاز العربي، أما أذربيجان فهي تغذي الأنبوب الرئيسي وذلك من خلال حقل شاه دينيز بمعدل ٢٣ مليار متر مكعب سنويًا، وفي حالة كازاخستان فيوجد بها حقل غاز يقع شمال بحر قزوين وحقل غاز دومينو ١ في البحر الأسود والذي تمتلك فيه شركة موبيل الأمريكية وشركة الغاز النمساوية مناطق امتياز.

أدركت أمريكا أهمية الدور الإيراني في هذه الحالة، فهي تمتلك ثاني أكبر احتياطي عالمي من الغاز الطبيعي وأكثر من ٩٣ مليار برميل من الاحتياطي النفطي، إلى جانب خطوط الأنابيب التي تربطها بتركمنستان والصين فضلاً عن موقعها الجيوسياسي في القلب الآسيوي حيث التقاء العراق وأفغانستان وباكستان والهند، كما أن التقارب الجغرافي بينها وبين قطر يسهل المرور المثالي لخط غاز الخليج كأنبوب فرعي داخل الأراضي الإيرانية، فالوصول إليها يدعم الموقف

الأمريكي لصالح مشروع نابوكو، ورغم المكاسب الاستراتيجية والاقتصادية التي ستعود على إيران جراء قبولها هذه الشراكة، من منافسة غازها في السوق الأوروبي وإرضاءً للسياسة الأمريكية إلا أنها استشعرت الخطر الذي يحاصرها بعد سقوط أفغانستان عام ٢٠٠١ والعراق عام ٢٠٠٣ فرفضت الانضمام لهذا الغزو الأمريكي، وشرعت في برنامجها النووي، وعززت من تواجدها في المقاومة السورية واللبنانية والعراقية ([٩]).

ولكن هذا الحلم الأمريكي لم يدم طويلاً فالنفوذ الروسي يأبى الخضوع الأمريكي، فوجهت روسيا ضربات قاسمة لأمريكا على رأسها إقامة تحالفات استراتيجية مع كل من إيران والصين مستغلة بذلك عدائهما الشديد لأمريكا، ثم توجهت إلى دول وسط آسيا لشراء عقود طويلة المدى من الغاز الطبيعي كان أولها أذربيجان عام ٢٠٠٩ بالتوقيع مع شركة النفط الآذرية شراكة إستراتيجية لضخ الغاز الأذري إلى شركة غاز بروم الروسية بمعدل مليار متر مكعب سنويًا قابلة للزيادة بداية من عام ٢٠١٠، كما تراجعت تركمانستان في عام ٢٠٠٩ عن اتفاقها مع أمريكا عند نشوب حرب الغاز الروسي الأوكراني، واستبدلته باتفاق مع إيران ينص على أن تستورد من تركمانستان ١٠ مليار متر مكعب من الغاز سنويًا، بالإضافة إلى اتفاق رئيسا البلدين على أن يتم تدشين خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي من وإلى الدولتين.

وإلى جانب شراء روسيا من تركمانستان ٥٠ مليار متر مكعب سنويًا من أصل ٨٠ مليار متر مكعب هو إجمالي إنتاجها خلال العام الواحد، واختتمتها روسيا بشراء كل إنتاج أوزبكستان من الغاز الطبيعي حتى نهاية عام ٢٠١٨، وكان هذا تمهيدًا من روسيا لإطلاق مشروعا السيل الشمالي والجنوبي في وجه نابوكو الأمريكي مما زاد من عمق العلاقات الروسية الأوروبية.

ولم تكتفي روسيا بهذا القدر ولكنها استخدمت معضلة قانونية تعيق تقاسم الثروات في بحر قزوين، حيث رددت أمريكا طويلاً أن هذا البحر يعد بحيرة مغلقة، وهذا غير صحيح فالقانون الدولي يصنفه بحرًا مغلقًا عابرًا للبلدان تشترك فيه الدول الخمس المطلة عليه بحسب طول الشاطئ والجرف القاري وهم روسيا وإيران وتركمانستان وكازاخستان وأذربيجان، لذلك لا يمكن لأي دولة منهم أن تتخذ قرارًا يضر بمصلحة الدول الأخرى، غير أن تركمانستان تعد بلدً مفلق منفذها الوحيد هو روسيا عبر بحر قزوين حيث يقع أكبر حقولها من الغاز.

ولم تقف صعوبات استكمال هذا المشروع عند روسيا فقط بل وصل إلى عراقيل جيوسياسية في منطقة شرق المتوسط خاصةً في سوريا ولبنان وشمال العراق وتفاقم الأزمة الإيرانية الأمريكية، كما أعلنت أذربيجان في عام ٢٠١٣ أنها ستفضل نقل الغاز من حقل شاه دينيز إلى

أوروبا عبر خط البحر الأدرياتيكي الذي يمتد من تركيا إلى اليونان ثم ألبانيا وينتهي في إيطاليا بدلاً من خط نابوكو.

وتوالى انسحاب الدول الأعضاء من المشاركة في هذا المشروع حتى وصل إلى الإتحاد الأوروبي بإعلان إيطاليا في عام ٢٠١٣ مساهمتها في خط السيل الروسي الجنوبي بينما أعلنت ألمانيا هي الأخرى في نفس العام تبنيها خط السيل الشمالي الروسي لحماية مصالحها الاقتصادية من الغاز الطبيعي.

وكل ذلك ترتب عليه ارتفاع تكلفة تشييد هذا الخط إلى ٢١,٤ مليار دولار في عام ٢٠١٧ أي إلى أكثر من الضعف، مما نتج عنه العديد من التساؤلات عن مدى جدوى نجاح هذا المشروع من الناحية الاقتصادية في ظل هذه الأزمات، وعليه، فقد أدرك الجميع استحالة تجاوز القيصر الروسي سياسيًا أو اقتصاديًا أو إستراتيجيًا.

إلا أن روسيا لم تسلم من الاستفزازات الأمريكية حيث شن الكونجرس الأمريكي هجمة شرسة من العقوبات على روسيا لعرقلة تنفيذ مشروع السيل الشمالي ٢، مما أثار حالة من الغضب لدى الإتحاد الأوروبي نتيجة انعكاس هذا بالسلب على مصالح أوروبا الاقتصادية وأمن الطاقة لديها، كما قامت ألمانيا بتحذير الولايات المتحدة برد فعل محتمل حيال فرض الأخيرة عقوبات على الشركات الألمانية المشاركة في المشروع بمد خطين لنقل الغاز الروسي إلى أوروبا عبر بحر البلطيق بطاقة إنتاجية تبلغ ٥٥ مليار متر مكعب سنويًا هذا بجانب خط السيل الشمالي (١٠).

٢- خط الغاز القطري التركي

فقد دعمت الولايات المتحدة على صعيد آخر مشروع الأنبوب القطري التركي (شكل ٢)، لمد الغاز الطبيعي إلى مدينة حمص السورية والتي تعد عقدة جغرافية للوصول إلى أوروبا، فهذا المشروع أيضًا يمثل تحول إستراتيجي لكل من تركيا وإسرائيل بدخولهما سوق الطاقة العالمي، إذ يمتد الخط من قطر إلى السعودية ثم الأردن ثم إلى حمص في سوريا ومنها يتفرع إلى ثلاثة أنابيب: الأول باتجاه اللاذقية على الساحل السوري، والثاني باتجاه طرابلس في شمال لبنان، والثالث باتجاه تركيا، ويهدف المشروع إلى منافسة الغاز القطري والإسرائيلي في الأسواق الاستهلاكية الأوروبية إلى جانب تحرر تركيا من التبعية للغاز الإيراني عبر حقل كيران، لذلك كان توجه هذه الدول هو إشاعة الفوضى والخراب في سوريا حتى تتاح لهم فرصة تنفيذ المشروع، وعلى أساسه تم وضع المناطق السورية التي سيمر من خلالها الأنبوب القطري تحت سيطرة قوى المعارضة بدعم مكثف من الولايات المتحدة

وتركيا وقطر، ويظهر هذا جليًا في النشاط العسكري في كل من طريق ريف دمشق – تدمر وصولاً إلى شرقي النبك والقصير ومن حمص عبر تلبيسة والرستن إلى طرابلس واللاذقية (١١).

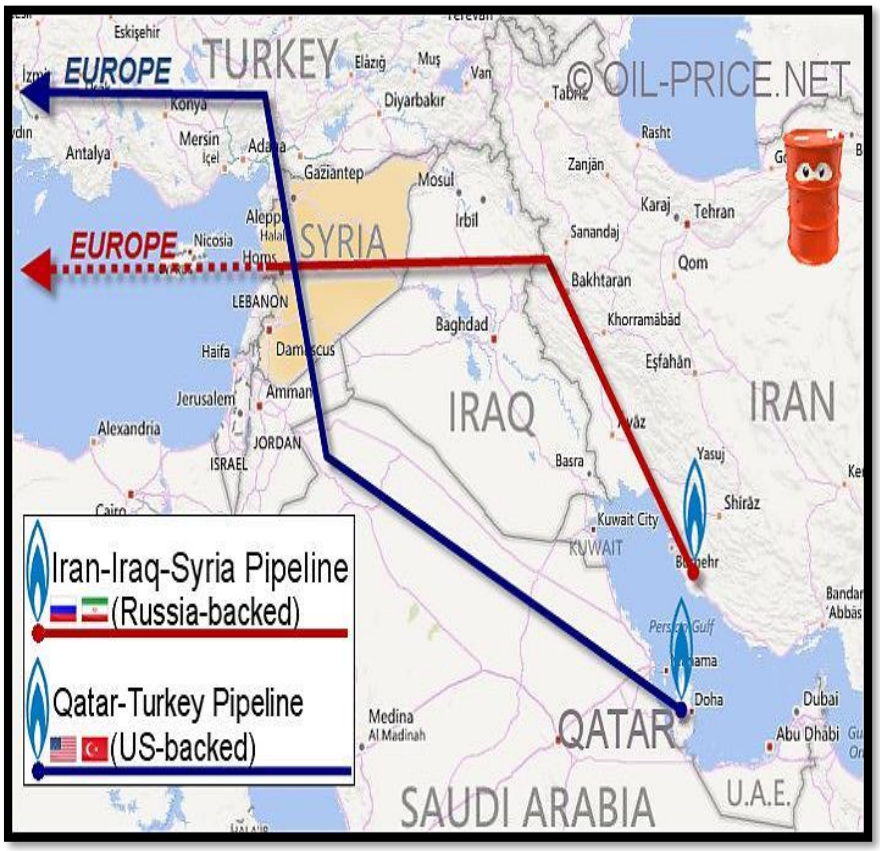

المصدر: بتصرف الطالبة اعتمادًا على الموقع التالي: https://oilprice.com

شكل (٢) مشروع الأنبوب القطري التركي ومشروع الأنبوب الإيراني العراقي السوري

٣- خط الغاز الإيراني

رأت قطر في هذا الطريق البري دور المنقذ لها من مشروعات تسييل الغاز الطبيعي باهظة التكاليف سواء في النقل والشحن البحري أو إنشاء البنى التحتية اللازمة لذلك ولكنه لا يخلو من العقبات الجيوسياسية، والتي كان أولها خط الغاز الإيراني – العراقي – السوري – اللبناني – الأوروبي، والذي كان سينفذ فعليًا على أرض الواقع لولا قيام الحرب السورية، وثانيها صعوبة الاتفاق مع الدول التي سيمر بها هذا الأنبوب خاصة السعودية والتي كانت المأزق الأكبر أمام خط الغاز القطري، فلو كانت كل دولة منهما تحمل الثقة في الأخرى ما لجأت قطر إلى مسار الغاز

المسال وشحنه ولا سعت وراء الأسواق الأوروبية لأن دول المنطقة وقتها كانت ستشتري معظم الإنتاج لاحتياجها الشديد له، نظرًا لوفرة الغاز القطري وسهولة استخراجه وموقعه الجغرافي القريب من المنطقة، ولكن الواقع غير ذلك فقطر ترفض وبشدة أن تجعل هذا الشريان الحيوي بالغ الأهمية في قبضة السعودية كلما اختلفا البلدان معًا لأسباب شتى تعرض الأنبوب للخطر، والسعودية أيضًا تأبى أن تضع مصيرها تحت تهديد وجود الغاز القطري من عدمه فالأمر مُجدي اقتصاديًا أما سياسيًا فهو في غاية التعقيد، أما ثالثها أن الغاز القطري مثل النفط السعودي يشكلان دورًا إقليميًا يتم التخطيط له لسيادة قوى عظمى على سوق الطاقة العالمي للوصول لأهداف بعيدة كل البعد عن مصلحة الشعب القطري والسعودي (١٢).

ونشب الخلاف القطري السعودي منذ ١٩٩٥ عندما بدأت قطر في تصدير الغاز الطبيعي من حقل الشمال الذي تشاركها فيه إيران، وحينها صارت قطر عملاق طاقة تجني من ورائها أموالاً طائلة كما حدث مع السعودية في النفط قبل ذلك، ولا يعني هذا أن قطر هي المصدر الأول عالميًا في تصدير الغاز الطبيعي المسال ولكن وصل معدل دخل المواطن القطري إلى ١٣٠ ألف دولار في السنة وهو الأول على مستوى العالم، وبذلك تحررت قطر بعض الشيء من الهيمنة السعودية في مجلس التعاون الخليجي الذي تأسس في عام ١٩٨٠ برعاية أمريكية ليصبح حائط صد أمام إيران بعد سقوط الشاه وليس بدافع القومية والعروبة، وسقطت تبعية قطر للسعودية والتي دامت لسنوات عدة مما أثار موجة عارمة من الغضب الشديد لدى السعودية انتهت بقطع العلاقات مع قطر وغلق الحدود في ٥ يونيو ٢٠١٧ (١٣).

وجاءت الحرب السورية بإيعاز من قطر وتركيا على إبادة شعب يشاطرهم التاريخ والحضارة والثقافة، عندما رفضت سوريا في عام ٢٠٠٩ العرض المقدم لها من قبل هاتان البلدان، والذي كان في ظاهرة تعاون ثلاثي في مشاريع خطوط أنابيب الطاقة لتوصيل الغاز الطبيعي إلى أوروبا واستبدال الغاز الروسي بالغاز القطري، ولكنه يحمل في طياته أيضًا إيقاع بين سوريا وروسيا فأخذت سوريا موقفًا به كثير من التضحيات الاقتصادية لصالح روسيا حليفها الأهم في المنطقة، ومنذ عام ٢٠١١ خضعت سوريا لمحاولات التقسيم حيث تولى كل من سفير أمريكا السابق لدى دمشق "روبرت فورد" و"فريدرك هوف" خبير ملف الغاز في المشرق، وهم أيضًا أعضاء في خلية الأزمة السورية في الخارجية الأمريكية متابعة تنفيذ مخطط الطاقة في سوريا، والذي نص على إنشاء حكومة سورية مصغرة في الخارج تحصل على الدعم من الجماعات المسلحة الموجودة في شمال سوريا وريف دمشق وحمص، والتي تسعى لتقسيم فعلي للدولة لصالح مناطق عبور خطوط الأنابيب وباقي

المناطق التي تخلو من حقول الطاقة فتترك للدولة، بالإضافة إلى مراعاة مصلحة إسرائيل في تصدير إنتاجها من حقلي ليفياثان وتمار إلى أوروبا من خلال أفضل طريق لها وهو مدينة حمص السورية (١٤).

وكان لتركيا دور بارز في هذه الحرب حيث كانت تقوم بفتح الحدود مع سوريا ليتسلل الألاف من الإرهابيين وكميات السلاح والعديد من الأجهزة العسكرية والاستخباراتية التابعة لدول عربية وأجنبية، كما عملت قطر على تأسيس وتمويل مجلس انتقالي سوري برئاسة "برهان غليون"، وفي السياق نفسه تبنى كلا البلدين طرح فكرة تنظيم الجيش الحر والتي كانت مهمته احتلال مسافة على الحدود السورية – التركية تصبح مركز للمجلس الانتقالي السوري، وبعد ذلك تعترف به كل من تركيا وقطر على أن يكون هذا المجلس هو ممثل شرعي للدولة وينتهي الأمر بسقوط نظام بشار كما توعد البلدين.

وباتت تركيا على وجه الخصوص تنتظر على أحر من الجمر الغنائم التي ستجنيها جراء نقلها للغاز القطري والمصري والإسرائيلي إلى أوروبا من خلال الأراضي السورية، ولكن صدم الجميع بالعزيمة السورية العصية على السقوط ومقاومتها باستماته دون استسلام، مما انتاب تركيا شعور بخيبة الأمل نتيجة الخسائر الفادحة والمتتالية التي لحقت بخططها بداية من إسقاط مشروع الإخوان المسلمين الذي تولت أمره نيابة عن الولايات المتحدة الأمريكية في مصر وتونس، وانتشار الفوضى في ليبيا، وصمود المؤسسة العسكرية في سوريا.

وتمكنت الدولة السورية من السيطرة على الحرب الكيدية التي شنت عليها بدعم من حلفائها في المنطقة وهم "دول البريكس **BRICS** * " الأقوى اقتصاديًا وعسكريًا واستراتيجيًا وديموغرافيًا، والتي حاولت الولايات المتحدة مرارًا إبعاد سوريا عن هذه الرابطة منذ تولي الرئيس بشار الأسد حكم البلاد في عام ٢٠٠٠ حتى يسهل ضمها للتبعية الأمريكية، وخلال الحرب اشتدت حدة الصراع بين هذه الدول والولايات المتحدة خاصة روسيا وإيران، كما اتخذت الولايات المتحدة سلاح تحديد سعر النفط لضرب الاقتصاد الروسي، حيث طلبت الولايات المتحدة من السعودية ضخ كميات كبيرة من النفط وخفض أسعاره مما حَمّل الدول المنتجة للنفط تراجع هائل في الواردات على حساب اقتصادهم بما فيهم الدول العربية.

وتشير الدراسات والمسوحات التي أجريت إلى وجود ٢٥ تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي في المنطقة الاقتصادية الخالصة اللبنانية وهي ثروة واعدة، خاصة أن ٠,٢ تريليون قدم مربع فقط كافية لتوفر الطاقة على مدار ٢٤ ساعة لمدة ٢٠ عام وذلك حسب تقديرات هيئة إدارة

قطاع النفط في البلاد، ولكن الوصول إلى هذه الثروة ليس بالأمر الهين فهي متروكه للعديد من الاتفاقيات التي لم تتم بعد، فالشركات التي تعمل في البحر المتوسط تمثل مصالح اقتصادية هائلة كما أنها تمتلك القدرة على التأثير في سياسات الدول ورسم خططها الجيواستراتيجية وأبرزها إيني الإيطالية و توتال الفرنسية ونوبل إنرجي الأمريكية وديليك الإسرائيلية (١٥).

وكانت إسرائيل هي الأسرع في استغلال اكتشافات شرق المتوسط حيث سعت من دون التنسيق مع الدول المجاورة إلى توقيع العقود مع شركات أمريكية وأوروبية للاستثمار في حقلي تمار وليفياثان في ساحل مدينة حيفا، ولم تهتم بالانتهاء من ترسيم الحدود البحرية وموافقة الأمم المتحدة على الشق القانوني فنصف حقل ليفياثان يقع في المياه اللبنانية، ناهيك عن قبرص التي لا يحق لها أن تُفعِّل أي اتفاق مع إسرائيل للغاز بدون موافقة لبنان والاتفاق معها على الحدود البحرية المشتركة، فلبنان ليس ببلد يستهان به وبحقه بل إن المقاومة تعهدت بإفشال أي مخطط إسرائيلي لسرقة الغاز اللبناني، كما حذر حزب الله اللبناني إسرائيل بضربات صاروخية نحو أي منشأة تقام على مساحة مائية لبنانية، فكان هذا كافيًا لردع إسرائيل وإحداث إرباك لدى الشركات المنفذة مما دفع بالحكومة الإسرائيلية لصرف النظر عن تشييد مصنع لتسييل الغاز على ساحل فلسطين والتوجه إلى قبرص لإنشائه واستخدامه في تصدير غاز حقلي تمار وليفياثان إلى تركيا وأوروبا (١٦).

خاتمة:

لقد وجه الانقلاب الصناعي أنظار أوروبا بعين الاهتمام والإقدام نحو المنطقة لتغطية متطلباته، إذ تأتي الطاقة في مقدمتها فهي تعد العامل المحرك والقوة الدافعة وراء هذا الاستعمار الاقتصادي ولقاء الأقطاب الكبرى، وذلك في ضوء استغلال أهم سلعة استراتيجية على مستوى العالم. ومع ظهور الغاز الطبيعي بهذا الصدى أخذ يحذو حذو النفط من حيث الإنتاج والاحتياطي والتجارة العالمية، كما أحدث إرباكًا في العلاقات الجيوسياسية بين دول المنطقة خاصة مع تحول بعضها مثل مصر وإسرائيل من مستوردين للغاز الطبيعي إلى مصدرين صافيين، مما أعاد تشكيل الخطط المطروحة على طاولة التعاون والصراع على الإنتاج والنقل والاستهلاك.

الهوامش:

(١) خالد عبد المنعم عبد السلام، إنتاج الغاز الطبيعي واستهلاكه في شمال شرق مصر – دراسة في جغرافية الطاقة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٨، ص: ث.

(٢) المرجع السابق، ص: خ.

(٣) زهراء عباس هادي العبيدي، احتياطي الغاز الطبيعي في المياه الإقليمية شرق البحر المتوسط وخيارات التصدير، مجلة البحوث الجغرافية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد ٣٣، ٢٠٢١، ص: ١٩٧.

(٤) وليد خدوري، غاز شرق البحر الأبيض المتوسط: الواقع والتوقعات، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد ٨٦، ٢٠١١، ص ص: ٧٥ – ٧٦.

(٥) Proceedings of the seminar on pipe lines for the transport Hydrocarbons in the Arab countries, Cairo, Nov. ١٣ – ١٦, OAPEC, Kuwait, ٢٠٠٥, P. P. ١٠١ – ١٠٦.

(٦) فاطمة مصطفى محمد سعد، تصدير الغاز الطبيعي المصري – دراسة في جغرافية الطاقة، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد ٥٢، ٢٠٠٨، ص: ٢١٧.

(٧) وائل حامد عبد المعطي، واقع وآفاق الغاز الطبيعي في منطقة شرق المتوسط، مجلة النفط والتعاون العربي، الكويت، المجلد ٤٤، العدد ١٦٧، ٢٠١٨، ص ص: ١٣٣ – ١٣٤.

(٨) كمال ديب، لعنة قايين ... حروب الغاز من روسيا وقطر إلى سورية ولبنان، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٨، ص: ١٤٠.

(٩) توبي شيللي، النفط – السياسية والفقر والكوكب، الطبعة الأولى، ترجمة دينا الملاح، دار العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٠، ص: ١٠٤.

(١٠) ناديجدا أنيوتينا، الإتحاد الأوروبي يحذر الكونجرس من إيقاف مشروع " السيل الشمالي ٢ "، روسيا اليوم، ٢٣ يوليو ٢٠١٧، على الرابط التالي:

https://arabic.rt.com/business/٨٩٠٠٥٩-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٧%D٨%AA%D٨%AD%D٨%A٧%D٨%AF-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%A٣%D٩%٨٨%D٨%B١%D٩%٨٨%D٨%A٨%D٩%٨A-%D٩%٨A%D٨%AD%D٨%B٠%D٨%B١-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٣%D٩%٨٨%D٩%٨٦%D٨%BA%D٨%B١%D٨%B٣-%D٩%٨٥%D٩%٨٦-%D٨%A٥%D٩%٨A%D٩%٨٢%D٨%A٧%D٩%٨١-%D٩%٨٥%D٨%B٤%D٨%B١%D٩%٨٨%D٨%B٩-

%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%B٣%D٩%٨A%D٩%٨٤-
%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%B٤%D٩%٨٥%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨A٢/تم
الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/٢/٢٠

(١١) ناصر شرارة، مساعٍ قطرية لتأمين خط أنابيب إلى حمص ليتفرع إلى أوروبا – الغاز يرسم خارطة الحرب، جريدة الأخبار، ١٣ نوفمبر ٢٠١٢.

(١٢) عامر محسن، أنبوب الغاز القطري: كيف تولد الخرافات، جريدة الأخبار، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥.

(١٣) https://www.zerohedge.com/news/٢٠١٧-٠٦-٠٦/forget-terrorism-real-reason-behind-qatar-crisis-natural-gas تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/٢/٢٢

(١٤) كمال ديب، لعنة قايين ... حروب الغاز من روسيا وقطر إلى سورية ولبنان، مرجع سابق، ص: ٢٥٦ – ٢٥٨.

(١٥) فيفيان عقيقي، الصراع على حقول الغاز: من يسيطر على الثروة في البحر المتوسط؟ جريدة الأخبار، ٣ أغسطس ٢٠١٦.

* دول البريكس BRICS: هو أكبر تجمع اقتصادي دولي ناشئ في القرن الحادي والعشرين يضم كل من روسيا والصين والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا والذي تشكل رسميًا عام ٢٠٠٩، إذ تبلغ مساحة هذه الدول ٣٠ % من مساحة العالم وتضم ٤٣ % من سكان العالم وتمثل ٢٥ % من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، كما أنها تستحوذ على نحو ١٨ % من حجم التجارة العالمية فهي أصبحت بمثابة آلية مهمة لبناء نظام عالمي جديد. " ليلى عاشور حاجم، تكتل القوى الاقتصادية الصاعدة: مجموعة البريكس أنموذجًا "، على الرابط التالي:

https://www.iasj.net/iasj/download/٠٠ce٥٨٠fe٦b٧٨٥٩f

(١٦) نقولا سركيس، البترول والغاز في لبنان نعمة أم نقمة ؟، الطبعة الأولى، المكتبة الشرقية، بيروت، ٢٠١٥، ص: ٣٧.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية

١- توبي شيللي، النفط – السياسية والفقر والكوكب، الطبعة الأولى، ترجمة دينا الملاح، دار العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٠.

٢- زهراء عباس هادي العبيدي، احتياطي الغاز الطبيعي في المياه الإقليمية شرق البحر المتوسط وخيارات التصدير، مجلة البحوث الجغرافية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العدد ٣٣، ٢٠٢١.

٣- عامر محسن، أنبوب الغاز القطري: كيف تولد الخرافات، جريدة الأخبار، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥.

٤- فاطمة مصطفى محمد سعد، تصدير الغاز الطبيعي المصري – دراسة في جغرافية الطاقة، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد ٥٢، ٢٠٠٨.

٥- فيفيان عقيقي، الصراع على حقول الغاز: من يسيطر على الثروة في البحر المتوسط؟ جريدة الأخبار، ٣ أغسطس ٢٠١٦.

٦- كمال ديب، لعنة قايين ... حروب الغاز من روسيا وقطر إلى سورية ولبنان، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٨.

٧- ليلى عاشور حاجم، تكتل القوى الاقتصادية الصاعدة: مجموعة البريكس أنموذجًا، على الرابط التالي:
https://www.iasj.net/iasj/download/٠٠ce٥٨٠fe٦b٧٨٥٩f

٨- محمد سليمان الزواوي، بحر النار.. تصاعد محفزات الصراع شرق المتوسط، الطبعة الأولى، مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، ٢٠١٥.

٩- ناديجدا أنيوتينا، الإتحاد الأوروبي يحذر الكونجرس من إيقاف مشروع " السيل الشمالي ٢ "، روسيا اليوم، ٢٣ يوليو ٢٠١٧.

١٠- ناصر شرارة، مساعٍ قطرية لتأمين خط أنابيب إلى حمص ليتفرع إلى أوروبا – الغاز يرسم خارطة الحرب، جريدة الأخبار، ١٣ نوفمبر ٢٠١٢.

١١- نقولا سركيس، البترول والغاز في لبنان نعمة أم نقمة ؟، الطبعة الأولى، المكتبة الشرقية، بيروت، ٢٠١٥.

١٢- وائل حامد عبد المعطي، واقع وآفاق الغاز الطبيعي في منطقة شرق المتوسط، مجلة النفط والتعاون العربي، الكويت، المجلد ٤٤، العدد ١٦٧، ٢٠١٨.

١٣- وليد خدوري، غاز شرق البحر الأبيض المتوسط: الواقع والتوقعات، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد ٨٦، ٢٠١١.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

١- https://archive.aawsat.com/details.asp?section=٦&article=٥٢٧٤١٨&issueno=١١١٨٦/١٤-٧-٢٠٠٩ .

٢- https://oilprice.com .

٣- https://www.zerohedge.com/news/forget-terrorism-real-reason-behind-qatar-crisis-natural-gas/٦-٦-٢٠١٧ .

٤- **Proceedings of the seminar on pipe lines for the transport Hydrocarbons in the Arab countries, Cairo, Nov. ١٣ – ١٦, OAPEC, Kuwait, ٢٠٠٥.**